

ماذا فعل يسوع؟

المحاضرة ٢: ترانيم الطفولة

أ.ر. سي. سرول

نُتَابِعُ الْآنَ دِرَاسَتَنَا لِخِدْمَةِ الْمَسِيحِ. فِي مُحَاضَرَتِنَا الْأُولَى تَأَمَّلْنَا فِي بَدَايَةِ تِلْكَ الْخِدْمَةِ، وَتَعَوَّدُ جُدُورُهَا إِلَى الْأَزْلِ، إِلَى عَهْدِ الْفِدَاءِ. وَرَأَيْنَا أَنَّهُ فِي التَّجَسُّدِ أَخْضَعَ يَسُوعُ نَفْسَهُ طَوْعًا لِلْإِذْلَالِ وَأَخْلَى نَفْسَهُ. مَا أُرِيدُ التَّكَلُّمُ عَنْهُ الْيَوْمَ هُوَ جُزْءٌ مِنْ سَرْدِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لَوْلَادَةِ يَسُوعَ وَالْجَوَابِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ فِي الْإِنْجِيلِ مَتَّى وَفِي الْإِنْجِيلِ لُوقَا نَحْدُ سَرْدًا لَوْلَادَةِ يَسُوعَ. لَكِنَّ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ، فِي الْبَدَايَةِ، نَحْدُ سَرْدًا لِمَا نُسَمِّيهِ الْبِشَارَةَ، أَيْ الْإِعْلَانَ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْمَلَائِكَةُ جِبْرَائِيلَ لِمَرْيَمَ عَنِ الطِّفْلِ الَّذِي سَتَحْمِلُهُ حِينَ تَظَلُّهَا قُوَّةُ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ. فِي الْإِنْجِيلِ لُوقَا، نَحْدُ ضَمَّنَ السَّرْدَ تَدْوِينًا لِثَلَاثَةِ أَنْشِيدٍ مُوحَى بِهَا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا جَانِبٌ هَامٌّ جَدًّا غَالِبًا مَا يَتِمُّ التَّغَاضِي عَنْهُ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِخِدْمَةِ الْمَسِيحِ.

طَوَالَ قُرُونٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، مَتَى أَرَادَ اللَّهُ الْقِيَامَ بِعَمَلٍ تَحْرِيرٍ هَامٍّ أَوْ بِعَمَلٍ فِدَائِيٍّ، فَإِنَّ عَمَلَ اللَّهِ هَذَا لِأَجْلِ شَعْبِهِ كَانَ يَتِمُّ الْإِحْتِفَالُ بِهِ بِأَنْشِيدٍ. نَشِيدِ مُوسَى، نَشِيدِ مَرْيَمَ، نَشِيدِ دَبُورَةَ، وَصُورًا إِلَى نَهَايَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ إِنَّهُ فِي سَفَرِ الرُّوْيَا قِيلَ لَنَا إِنَّهُ فِي مَرَحَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ سَيُعْطِي الرَّبُّ شَعْبَهُ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً لَدَى تَتْمِيمِ فِدَائِنَا. لَكِنَّ لُوقَا يَدُونُ لَنَا ثَلَاثَةَ أَنْشِيدَةٍ تَمَّ نَظْمُهَا لِلْإِحْتِفَالِ بِالتَّجَسُّدِ، وَمِنْهَا نَشِيدُ مَرْيَمَ، وَالْآخِرُ نَشِيدُ زَكْرِيَّا الَّذِي ظَهَرَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَأَعْلَنَ وِلَادَةَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَالنَّشِيدُ الثَّالِثُ هُوَ نَشِيدُ سَمْعَانَ الَّذِي أَنْشَدَهُ حِينَ تَمَّ إِحْضَارُ الطِّفْلِ يَسُوعَ لِتَكْرِيسِهِ فِي الْهَيْكَلِ. وَأَنَا أُرِيدُ الْإِقَاءَ نَظْرَةً وَجِيزَةً عَلَى تِلْكَ الْأَنْشِيدِ، لِأَنَّ مَضْمُونَهَا يُعْلِنُ لَنَا أَبْعَادًا مُهِمَّةً عَنِ خِدْمَةِ يَسُوعَ.

وَالْآنَ، فَلْنَبْدَأْ بِنَشِيدِ مَرْيَمَ. رَبَّمَا هُوَ الْأَبْرُزُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ. وَبِالْمُنَاسَبَةِ، تِلْكَ الْأَنْشِيدُ فِي أَيَّامِنَا مَعْرُوفَةٌ بِأَوَّلِ كَلِمَةٍ مِنَ النَّشِيدِ فِي اللَّاتِينِيَّةِ. وَالْكَلِمَةُ الْأُولَى مِنْ نَشِيدِ مَرْيَمَ بِاللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ هِيَ كَلِمَةُ "مَآغْنِيفِيكَات"، حَيْثُ تَقُولُ "تَعْظُمُ نَفْسِي الرَّبِّ، وَتَبْتَهِّجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلَّصِي". أَنْشَدْتَ ذَلِكَ النَّشِيدَ بَعْدَ أَنْ تَأَمَّلْتَ بِأَهْمِيَّةِ زِيَارَةِ جِبْرَائِيلَ لَهَا، وَأَيْضًا بَعْدَ أَنْ التَّقَّتْ نَسِيْبَتَهَا أَلْيَصَابَاتِ. لِمَآذَا عَظَّمَتِ اللَّهُ؟ أَوَّلُ أَمْرٍ ذَكَرْتَهُ هُوَ الْآتِي: "لَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى انْقِضَاعِ أُمَّتِهِ".

يُمْكِنُكَ أَنْ تَشْعُرَ كَيْفَ أَنَّ مَرْيَمَ فَرِحَتْ كَثِيرًا، لِأَنَّهُ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ النِّسَاءِ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ اخْتَارَ اللَّهُ تِلْكَ الْفَتَاةَ الرَّبِّيَّةَ لِتَكُونَ أُمًّا لِلْمَسِيحِ، كَمَا لَوْ أَنَّهَا تَقُولُ: "لَا يُمْكِنُنِي اسْتِيعَابُ ذَلِكَ! لَقَدْ لَاحَظَنِي وَمَيَّرَنِي فِي اتِّضَاعِي". هَذِهِ هِيَ قِصَّةُ سِنْدِرِيَّا الْأَصْلِيَّةِ، حَيْثُ تَمَّ الْاِكْتِشَافُ أَحْيَرًا أَنَّ سِنْدِرِيَّا هِيَ مَنْ فَازَتْ بِقَلْبِ الْأَمِيرِ. فَأَنْشَدْتَ مَرْيَمَ ذَلِكَ النَّشِيدَ بِقِيَادَةِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، وَقَالَتْ: "فَهُوَذَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ الْأَجْيَالِ نُطَوِّبُنِي، لِأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ، وَأَسْمُهُ

قُدُّوسٌ". القُدُّوسُ هُوَ مَنْ مَيَّزَنِي، القُدُّوسُ هُوَ مَنْ مَنَحَنِي هَذَا الِامْتِيَازَ الَّذِي لَا يُوصَفُ، إِنَّهُ القُدُّوسُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ.

هَلْ تَذْكُرُونَ حِينَ قَالَ لَهَا الْمَلَاكُ إِنَّهَا سَتَحْمِلُ هَذَا الطِّفْلَ، وَقَالَتْ: "كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ رَجُلًا؟" فَأَجَابَ الْمَلَاكُ: "يَا مَرْيَمُ، لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٍ لَدَى اللَّهِ". مَنْ أَوْجَدَ الْحَيَاةَ وَالْأَكْوَانَ مِنَ الْعَدَمِ، وَالْحَيَاةَ مِنَ الْمَوْتِ، قَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ حَيَاةً فِي بَطْنِكَ. وَمِثْلَمَا كَانَ رُوحُ اللَّهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ فِي فَجْرِ الْحَلِيقَةِ، هَكَذَا الرُّوحُ نَفْسُهُ سَيَرِفُّ عَلَيْكَ، بِحَيْثُ إِنَّ الطِّفْلَ الَّذِي تَحْمِلِينَهُ فِي بَطْنِكَ سَيَكُونُ قُدُّوسًا. وَهِيَ تَتَعَنَّى بِقُوَّةِ اللَّهِ الْمُذْهِلَةِ: "رَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ المُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الأَعْيَاءَ عَنِ الكِرَاسِيِّ وَرَفَعَ المُتَضَعِينَ".

أفكّر في طاولَةٍ وُضِعَتْ عَلَيْهَا أَسْلِحَةُ العَالَمِ كُلِّهَا لِمُقَاوَمَةِ اللَّهِ، وَاللَّهُ بِقُوَّةِ ذِرَاعِهِ يَسْحَقُهَا بِحَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ. هَكَذَا تَرَى مَرْيَمَ الأَمْرَ. لَقَدْ شَتَّتَ المُسْتَكْبِرِينَ، وَأَنْزَلَ الأَقْوِيَاءَ وَالأَعْيَاءَ عَنِ كِرَاسِيِّ القُوَّةِ، جَرَدَهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ، وَرَفَعَ المُتَوَاضِعِينَ. "أَشْبَعَ الحِيَاعَ حَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. عَصَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ". لَاحِظُوا أَنَّهَا فِي نِهَايَةِ هَذَا النِّشِيدِ رَبَطَتْ مَا سَمِعْتَهُ مِنَ الْمَلَاكِ وَالأَيْصَابَاتِ بِأُمَّةِ إِسْرَائِيلَ. لَقَدْ أَدْرَكْتَ أَنَّ هَذَا الطِّفْلَ الَّذِي تَكُونُ فِي بَطْنِهَا لَيْسَ مَوْجُودًا لِسَبَبٍ مُنْفَصِلٍ فِي التَّارِيخِ، لَكِنَّهُ مُرْتَبِطٌ بِالعَهْدِ القَدِيمِ كُلِّهِ وَبِتَوَقُّعَاتِ أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ كُلِّهَا.

وَتَقُولُ فِي النِّهَايَةِ: "كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا لِإِبْرَاهِيمَ وَنَسَلِهِ إِلَى الأَبَدِ". حِينَ يُخْبِرُ العَهْدُ الجَدِيدُ عَن وِلَادَةِ يَسُوعَ فَهُوَ يَذْكُرُ أَنَّهُ وُلِدَ فِي "بَلْيَرُومَا"، وَهِيَ كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ مَلِيئَةٌ بِالمَعَانِي. تَتِمُّ تَرْجُمَةُ كَلِمَةِ "بَلْيَرُومَا" بِعِبَارَةِ "مِلْءُ الرِّمَانِ". تَجَسَّدُ المَسِيحُ فِي هَذَا العَالَمِ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا مُسْتَدْرَكًا أَوْ حَافِزًا كَان لَدَى اللَّهِ جَعَلَهُ يُولَدُ "دَنِي نُوفُو"، مِثْلَ أَثِينَا مِنْ رَأْسِ زِيُوسِ، لَا. لَقَدْ كَانَ هَذَا مُحْتَظَّ اللَّهِ، وَهُوَ كَان قَدْ وَعَدَ شَعْبَهُ بِفِدَاءٍ، مُرْتَبِطٍ بِالعَهْدِ الَّذِي أَبْرَمَهُ مَعَ أَبِي الإِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ. وَال "بَلْيَرُومَا" تُفِيدُ بِأَنَّ يَسُوعَ وُلِدَ فِي مِلْءِ الرِّمَانِ.

حِينَ نَرَى أَناسًا فِي حَيَاتِنَا يُحْمِلُونَ بِطِفْلٍ، نِسَاءً يُصْبِحْنَ حَوَامِلَ وَهِنَّ يَعُدُّنَ الأشْهُرَ وَالأَسَابِيحَ وَالأَيَّامَ إِلَى أَنْ يَحِينَ وَفَتْ وِلَادَةَ الطِّفْلِ. أَذْكُرُ أَنَّ طِفْلَنَا البِكْرَ وُلِدَ بَعْدَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ تَارِيخِ الوِلَادَةِ الَّذِي حَدَدْتُهُ لَنَا طَبِيبَتُهَا. وَأَنَا كِدْتُ أَفْقِدُ صَوَابِي لِأَنِّي كُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِأَنْ يَحِينَ ذَلِكَ الوَقْتُ وَلِرُؤْيَةِ طِفْلِنَا. لَكِنَّ التَّارِيخَ كُلَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ وَيَتَنَبَّأُ بِانْتِظَارِ وِلَادَةِ هَذَا الطِّفْلِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ حِينَ يَأْتِي هَذَا الطِّفْلُ، يَأْتِي الطِّفْلُ لَمَّا يَكُونُ قَدْ حَانَ مِلْءُ الرِّمَانِ.

فِكْرَةُ الك "بَلْيَرُومَا" تُذَكِّرُنِي بِالكُوبِ. أَنْتِ تُحَاوِلُ أَنْ تَمَلَأَ كُوبًا بِالمَاءِ لَكِنَّكَ لَا تَمَلَأُهُ حَتَّى الحَاقَةِ، لِأَنَّكَ عِنْدَيْكَ لَنْ تَقْدِرَ أَنْ تَرْفَعَهُ أَوْ تَحْمِلَهُ، لِأَنَّكَ سَوْفَ تَدُلُّهُ. لِنَا نَحْنُ نَتْرُكُ دَائِمًا فَرَاغًا صَغِيرًا عِنْدَ رَأْسِ الكُوبِ. لَكِنَّ لَيْسَ هَذَا

الـ"بليزوما". الـ"بليزوما" لا تعني حتى إنَّ الكُوبَ مُمتلئٌ تمامًا. أُحِبُّ التَّفَكِيرَ فِي وَضْعِ الكُوبِ تَحْتَ الحَنْفِيَّةِ، وَفَتَحَ الحَنْفِيَّةَ لِمَلَأَ الكُوبَ. وَحِينَ يَصِلُ المَاءُ إِلَى حَافَتِهِ يَبْدَأُ يَفِيضُ، لِأَنَّ الكُوبَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْوِيَ نُقْطَةً وَاحِدَةً إِضَافِيَّةً. هَذِهِ هِيَ الفِكرَةُ هُنَا، وَهِيَ أَنَّ اللّٰهَ قَدْ وَضَعَ التَّارِيخَ بِحَيْثُ إِنَّهُ فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ الَّذِي عَيَّنَهُ، فِي الوَقْتِ المِثَالِيِّ، الـ"بليزوما"، مِلءِ الزَّمَانِ، وَوُلِدَ يَسُوعُ مِنَ العَذْرَاءِ مَرِيَمَ.

تُوجَدُ أَفكارٌ مُمَثِّلَةٌ فِي نُبوَّةِ زَكَرِيَّا، الَّذِي كَانَ أَبَ يُوْحَنَّا المَعْمَدَانِ. حِينَ امْتَلَأَ مِنَ الرُّوحِ القُدِّيسِ وَرَتَمَ الـ"بِنْدِيكْتُوسَ". اسْمَعُوا كَلِمَاتِ الـ"بِنْدِيكْتُوسِ": "مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلَاصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ، كَمَا تَكَلَّمَ بِقَمِ أَنْبِيَاءِهِ القُدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْذُ الدَّهْرِ". دَعَوْنِي أَتَوَقَّفُ عِنْدَ هَذِهِ الفِكرَةِ. هُنَا، النُّقْطَةُ الرَّئِيسِيَّةُ فِي هَذَا الاحْتِفَالِ بِالتَّرْنِيمِ عَلَى لِسَانِ زَكَرِيَّا فِي الـ"بِنْدِيكْتُوسِ"، تُرَكِّزُ عَلَى الاِفتِقَادِ - اِفتِقَادِ اللّٰهِ. وَإِنْ تَأَمَّلْتُمْ فِي اللُّغَةِ الَّتِي تَمَّ اسْتِعْمَالُهَا، فَهِيَ تَسْتَنِدُ إِلَى فِعْلِ يُشْتَقُّ مِنْهُ الاسْمُ، وَهُوَ المُرَادِفُ اليُونَانِي لِكَلِمَةِ أُسْفُفٍ، وَهُوَ "إِبِيسْكُوبُوسُ".

نَحْنُ نَسْمَعُ بِالكَنِيسَةِ الأُسْفُفِيَّةِ، وَهِيَ تُدْعَى كَذَلِكَ لِأَنَّ أَسَاقِمَةَ يَتَوَلَّوْنَ السُّلْطَةَ فِيهَا. لَكِنْ فِي العَالَمِ القَدِيمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الأُسْفُفُ هُوَ الـ"إِبِيسْكُوبُوسُ". الجُذْرُ "سْكُوبُوسُ" تَشْتَقُّ مِنْهُ الكَلِمَةُ الإِنْجِلِيزِيَّةُ "سْكُوبُ"؛ تِلْسْكُوبُ، وَمِيكْرُوسْكُوبُ، وَسَيْسْتُونْسْكُوبُ، وَشَتَّى أَنْوَاعِ الـ"سْكُوبِ" المَوْجُودَةِ لَدَيْنَا. وَالـ"سْكُوبُ" هُوَ شَيْءٌ تُنْظَرُ عِبْرَةُ لِتَرَى شَيْئًا لَا تَتَمَكَّنُ عَادَةً مِنْ رُؤْيَتِهِ بِالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ. المِيكْرُوسْكُوبُ يَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مُتَنَاهِيَةِ الصَّغَرِ لَا يُمَكِّنُكَ رُؤْيُهَا بِالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ. التِّلْسْكُوبُ يَنْظُرُ عَلَى بُعْدِ مَسَافَاتٍ كَبِيرَةٍ لِرُؤْيَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ وَغَيْرِهَا. إِذَا الـ"سْكُوبُ" هُوَ شَيْءٌ تُنْظَرُ عِبْرَةُ. حِينَ تُضَيَّفُ إِلَيْهِ البَادِئَةُ "إِبِي"، فَمَا تَفْعَلُهُ هَذِهِ هُوَ التَّشْدِيدُ عَلَى مَعْنَى الجُذْرِ. إِذَا، الأُسْفُفُ هُوَ مَنْ يَنْظُرُ بِاهْتِمَامٍ وَبِنَشَاطٍ وَبِإِمْعَانٍ إِلَى مَا تَتَمُّ دِرَاسَتُهُ.

فِي العَالَمِ اليُونَانِيِّ القَدِيمِ، كَانَ الـ"إِبِيسْكُوبُوسُ" لِيَاءِ الجُيُوشِ الَّذِي يَزُورُ القَوَاعِدَ العَسْكَرِيَّةَ وَيَسْتَعْرِضُ الجُنُودَ، كَانَ يَمْتَحِنُهُمْ لِيَرَى إِنْ كَانُوا جَاهِزِينَ لِلْمَعْرَكَةِ، وَإِنْ كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ بِشَكْلِ كَافٍ لِمُوَاصَلَةِ الحَرْبِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الجُنُودُ مُسْتَعِدِّينَ، كَانَ يَتِمُّ فَرُضُ عُقُوبَاتٍ عَلَيْهِمْ. وَإِنْ كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ أَثْنَاءَ الاسْتِعْرَاضِ، كَانَ الجُنُودُ يَلْقَوْنَ ثَنَاءً وَمَنَافِعَ مِنَ الـ"إِبِيسْكُوبُوسِ". لِاحْتِقَاقِ، يُشِيرُ العَهْدُ الجَدِيدُ إِلَى يَسُوعَ عَلَى أَنَّهُ أُسْفُفُ نَفُوسِنَا وَأَنَّهُ المُشْرِفُ عَلَيْنَا. إِنَّهُ يُعَايِنُ أَوْ يَتَصَوَّرُ بِطَرِيقَةٍ خَارِقَةٍ كُلَّ مَا يَجْرِي وَسَطَ شَعْبِهِ.

إِذَا، كَانَ اليَهُودُ يَتَوَقَّفُونَ إِلَى يَوْمِ الرَّبِّ حِينَ سَيَفْتَقِدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ هَذِهِ الأَرْضَ، وَكَانُوا يُخَشَوْنَ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الاِفتِقَادِ يَوْمَ ظِلَامٍ، إِنْ جَاءَ وَلَمْ يَكُنْ شَعْبُهُ مُسْتَعِدًّا، وَوَقَّتْ أَرْزَمَةٌ وَدِينُونَةٌ. لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَرْجُونَ أَيْضًا أَنْ يَفْتَقِدَ اللّٰهُ شَعْبَهُ لِيَفْتَدِيَهُمْ. وَهَذَا يَقُولُ زَكَرِيَّا فِي نَشِيدِهِ "لِأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلَاصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ". إِذَا هَا

هُوَ يَحْتَفِلُ الْآنَ، لَا بِالْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ، أَخْبَارِ الدَّيْنُونَةِ الْوَشِيكَةِ، بَلْ بِالْأَخْبَارِ السَّارَّةِ، أَخْبَارِ اِئْتِقَادِ اللَّهِ شَعْبَهُ وَفِدَائِهِمْ. تَذَكَّرُوا أَنَّهُ أُطْلِقَ عَلَى يَسُوعَ اسْمُ عَمَانُوثِيلَ، أَيُّ اللَّهِ مَعَنَا. إِذَا، هَذَا النَّشِيدُ يَتَعَنَّى بِاِئْتِقَادِ اللَّهِ فِي التَّجَسُّدِ.

ثُمَّ يُتَابِعُ قَائِلًا إِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَخْلُصَ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. "لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِيْنَا: أَنْ يُعْطِينَا إِنْتِنَا بِلَا خَوْفٍ، مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا، نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرَفْدَامِهِ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا". هَلْ تَرَوْنَ مُجَدِّدًا كَيْفَ أَنَّهُ كَمَا فِي نَشِيدِ التَّعْظِيمِ "مَاغْنِيفِيكَات"، الـ "بِنْدِيكَتُوس" يُرَبِّطُ مَجِيءُ الْمَسِيحِ بِالْعَهْدِ الَّذِي أُبْرِمَهُ اللَّهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ. انْتَقَرَتِ الشَّعْبُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ. وَمَرِيَمُ أَدْرَكَتْ ذَلِكَ، وَقَالَتْ إِنَّ زَمَنَ الْاِئْتِظَارِ انْتَهَى، فَاللَّهُ تَذَكَّرَ وَهُوَ لَمْ يَنْسَ الْأَمْرَ، هُوَ لَا يَنْسَى وَعُودَهُ أَبَدًا، وَلَا يَنْسَى عَهْدَهُ أَبَدًا. هَذَا هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي نَعِيشُ عَلَيْهِ. إِنَّهُ أَسَاسُ قَطْعِ اللَّهِ وَعُودًا لَنَا هُوَ لَا يَنْسَاهَا أَبَدًا. نَحْنُ نَنْسَاهَا لَكِنَّهُ لَا يَنْسَى. إِذَا، يَتَعَنَّى هَذَانِ النَّشِيدَانِ بِتَنْمِيمِ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي أُبْرِمَهُ اللَّهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ.

ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عَنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ: "وَأَنْتِ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيِّ الْعَالِي تَدْعِي، لِأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخُلَاصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ". الْآنَ كَوْنًا فِكْرَةً حَوْلَ كَيْفِيَّةِ تَنْمِيمِ عَمَلِ الْخُلَاصِ. أَيًّا تَكُنِ الْأُمُورُ الَّتِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا سَيَتَضَمَّنُ عُقْرَانًا لِلْخَطَايَا، وَإِبْعَادَ خَطَايَانَا عَنَّا، وَإِبْعَادَ مَعَاصِينَا عَنَّا كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ عَنِ الْمَغْرِبِ. وَبِتَمُّ ذَلِكَ "بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا اِئْتَقَدْنَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْعَلَاءِ". هَذَا لَقَبُ آخَرَ مِنْ أَلْقَابِ يَسُوعَ: الْمَشْرِقُ مِنَ الْعَلَاءِ، النَّجْمُ الَّذِي يُضِيءُ الْفَجْرَ، اِئْتَقَدْنَا بِالْمَسِيحِ "لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلَامِ".

أُرِيدُ أَنْ نَتَأَمَّلَ أَيْضًا فِي نَشِيدٍ وَاحِدٍ بَعْدَ قَبْلِ أَنْ نَخْتِمَ الْيَوْمَ، وَهُوَ النَّشِيدُ الْوَجِيزُ الَّذِي أَنْشَدَهُ سِمْعَانُ، حِينَ رَأَى سِمْعَانُ يُوْسُفَ وَمَرِيَمَ وَقَدْ أَحْضَرَ الطِّفْلَ يَسُوعَ إِلَى الْهَيْكَلِ لِتَكْرِيسِهِ. وَفَقًا لِمَا جَاءَ فِي النَّصِّ، هَذَا الرَّجُلُ الْمَهِيْبُ سِمْعَانُ كَانَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ قَدْ وَعَدَهُ بِأَلَّا يَرَى الْمَوْتَ حَتَّى يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ، وَبِأَلَّا يَرَى الْمَوْتَ حَتَّى يَرَى شَخْصِيًّا الْمَسِيحَ الْآتِي. وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ كَيْفَ عَاشَ أَيَّامَهُ فِي الْهَيْكَلِ، لَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ بَحْثًا عَنِ الْمَسِيحِ، لَكِنَّ الْوَعْدَ لَمْ يَتَحَقَّقْ.

مَعَ مُرُورِ الْأَيَّامِ وَالْأَسَابِيعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ، كَانَ سِمْعَانُ يَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا يَرَى الْمَسِيحَ. لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ قَدْ وَعَدَهُ بِأَلَّا يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. وَهُوَ كَانَ يُكْبِرُ فِي السَّنِّ وَيَضْعُفُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَفِي النَّهَائِيَّةِ، اِئْتَادَهُ الرُّوحُ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَحِينَ أَحْضَرَ الْوَالِدَانِ الطِّفْلَ يَسُوعَ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ، وَرَفَعَ سِمْعَانُ الطِّفْلَ. وَبِمُكْنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا يُوْسُفَ وَمَرِيَمَ يَدْخُلَانِ إِلَى الْهَيْكَلِ وَيَرِيَانِ سِمْعَانَ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الْعَجُوزَ، فَيَأْتِي هَذَا الْأَخِيرُ وَيَأْخُذُ طِفْلَهُمَا مِنْ أَيْدِيهِمَا وَيَبْدَأُ بِالْتَّرْنِيمِ بِوَحْيٍ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ الـ "تُونِكَ دِيمِيْتِيَس". "الآنَ تُطْلِقُ

عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ. لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ أَبْصَرْتَ خَلَاصَكَ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَّمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ". لَقَدْ رَأَى بِأَمِّ عَيْنَيْهِ - كَمَا قِيلَ لَنَا فِي الْآيَةِ ٢٥ - مَنْ تَمَّ وَصْفُهُ عَلَى أَنَّهُ تَعْرِيزُهُ إِسْرَائِيلَ.

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَتُّنُونَ بِسَبَبِ الْأَلَمِ وَالْحَرْبِ وَالصَّرَاعِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَلَجَأُوا إِلَى اللَّهِ طَلَبًا لِلتَّعْرِيزِ. وَالتَّعْرِيزُ الَّتِي كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعَدَّهَا لِشَعْبِهِ تَمَثَّلَتْ بِالْمَسِيحِ. وَهَذَا لَقَبٌ آخَرٌ مِنَ الْقَابِ يَسُوعَ، أَلَا وَهُوَ تَعْرِيزُهُ إِسْرَائِيلَ. ذَلِكَ الَّذِي يَحْمِلُ سَلَامًا، ذَلِكَ الَّذِي يُعْلِنُ مِنْ خِلَالِ خِدْمَتِهِ أَحْشَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، بِحَيْثُ إِنَّ كَافَّةَ الْأَمَالِ وَالْأَحْلَامِ وَالْوَعُودِ الْمُعْطَاةَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَمِنْ خِلَالِهِمْ تَلْتَقِي فِيهِ، وَهُوَ احْتِفَالٌ عَظِيمٌ.

لَكِنَّ نَمَّةَ نَذِيرٍ شَرٌّ مُتَعَلِّقٌ بِهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَتْ النَّبِيَّةُ حَنَّةٌ مَوْجُودَةً. وَبَيْنَمَا كَانَ سَمْعَانُ يُبَارِكُ الطِّفْلَ وَيُوسُفَ قَيْلَ لِمَرِيمَ: "هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ وَلِعَلَّامَةٍ تُقَاوَمُ، وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبِ كَثِيرَةٍ". إِذَا، مَعَ حَنَّةَ وَسَمْعَانَ مَعًا أُعْطِيَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ الْمُزْدَوِجَةُ، الَّتِي تُفِيدُ بِأَنَّ هَذَا الطِّفْلَ قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ. لَكِنَّ قَيْلَ لِمَرِيمَ "يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ". وَمَكْتُوبٌ أَنَّ مَرِيمَ رَاحَتْ تَتَأَمَّلُ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ. أَنَا وَاثِقٌ مِنْ أَنَّهَا فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ فِي حَيَاتِهَا كَانَتْ تَنْظُرُ إِلَى ابْنِهَا مُتَسَائِلَةً "مَا الَّذِي قَصَدُوهُ؟ كَيْفَ يُعْقَلُ أَنَّهُ سَيَكُونُ الْقَادِي وَالْمَسِيحُ لَكِنَّ سَيْفًا سَيَجُوزُ فِي نَفْسِي؟"

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوْتِيُونًا" (Everyone's A Theologian).